

مفاهيم القرآن

(201) وفي هذا الصدد يكتب العلامة الطباطبائي في تفسيره قائلاً: (إنَّ عامَّةَ الآيات المتضمنة لإقامة العبادات والقيام بأمر الجهاد وإجراء الحدود والقصاص وغير ذلك توجَّه خطابها إلى عامَّة المؤمنين دون النبي خاصَّةً كقوله تعالى: (وَأَنذَرُوكُمُومَنَ يَدْعُونَ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ) (البقرة: 195) وقوله: (وَلَا تَتَّبِعُوا مَنَ يَدْعُونَ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ وَبِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) (آل عمران: 104) وقوله: (وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ) (المائدة: 35) وقوله: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) (الحج: 78) وقوله: (وَلَا تَكُومُوا فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً) (البقرة: 179) وقوله: (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) (الطلاق: 2) وقوله: (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (آل عمران: 103) وقوله: (أَن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (الشورى: 13). إلى غير ذلك من الآيات التي يستفاد منها أنَّ الدين ذو صبغة اجتماعية الشكل وقد حملها الله تعالى على الناس بصفته الاجتماعية (كما حمل بعض الأمور على الأفراد بوصفهم الفرديَّة) ولم يرد إقامة الدين إلَّا منهم أجمعهم، فالمجتمع المتكون منهم هو الذي أمره الله وندبه إلى ذلك من غير مزيَّة في ذلك لبعضهم) (1). إنَّ توجيه الخطاب بهذه التكاليف إلى المجتمع; إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على أنَّ المجتمع بما هو مجتمع عليه أن يقوم بها كما يقوم الفرد بواجبه الديني، وهي على نحو الواجب الكفائي الذي يجب على الجميع القيام بها أوَّلاً وبالذات، فإن قام بها أحد سقطت عن الآخرين، وأمَّا إذا لم يقم بها أحد كان الجميع عصاةً مسؤولين. وحيث أنَّ هذه التكاليف والواجبات المتوجَّهة شرعاً إلى المجتمع ممَّا لا يمكن